

# جدلية الترابط بين الأهمية الشيعية والجيوبوليتيك الشيعي

كتبه فراس إلياس | 11 سبتمبر, 2020



شكلت الأهمية الشيعية إحدى أبرز تجليات الثورة في إيران، وذلك عبر تأميم كل الحركات والمجتمعات الشيعية في العالم، من خلال تذويبها سياسيًا واجتماعيًا وثقافيًا وأيديولوجيًا ضمن الوعاء الإيراني الكبير، وتحويل هذه الحركات والمجتمعات إلى مصدات إستراتيجية لنظام ولاية الفقيه، وذلك عبر التأكيد أن إيران المسؤولة عن جميع الشيعة في العالم.

فالأهمية الشيعية - حسب فكر الثورة الإيرانية - جاءت لتجاوز الحدود السياسية التي تفصلها عن المجتمعات الشيعية في الدول الأخرى، من أجل الارتباط والتعاون السياسي، فهي سعي إيراني لربط شيعة العالم عبر الحدود الوطنية لتعزيز المصالح القومية الإيرانية، في تشكيل الإمبراطورية الشيعية العالمية التي تعتبر الجمهورية الإسلامية نواتها الحقيقية.

إذ برزت التعبيرات الأساسية لمفهوم الأهمية الشيعية في العديد من مواد الدستور الإيراني عام 1979، التي أكدت مبادئ سياسية عديدة منها العالمية ونصرة المستضعفين ومحاربة الاستكبار، كما أنها أكدت الدور الأممي للحرس الثوري في دعم الحركات والجماعات الإسلامية "السنية والشيعية" على حد سواء، فمنذ اللحظات الأولى لانتصار الثورة عام 1979، ارتكز مفهوم الأهمية الشيعية بصورة أساسية على تقسيمات الخميني للعالم، فقد قسم العالم إلى ثلاثة أقسام رئيسة وهي: عالم إسلامي تقوده إيران وعالم اشتراكي يقوده الاتحاد السوفيتي وعالم رأسمالي تقوده الولايات المتحدة.

# رؤية إيران للأممىة الشىعىة

هءف إىران فى تأكىء الأممىة الشىعىة عىر نظرىة ولاءة الفقىه، لىست مجرد شعارات ءورىة، بل مواقف وءصرىحات صءرت عن المرشد الأعلى أو ءقى قىاءات فى ءرس ءورى، ومن ذلك ما قاله اللواء ىءى رءىم صفوى المسءشار العسكرى للمرشد الأعلى الإىرانى عىى ءامنىءى: "العالم ىءءه نءو إقامة ءكومة إسلامىة عالمىة بإءارة إىران"، ووفقًا لوكالة فارس الإىرانىة، فقد اعءبر صفوى أن شبان العالم الإسلامى فى الىمن والعراق، ىءءذون بنموءء شبان إىران، فى إءشارة إلى ءأسىس مجامىع وأءزاب ءابعة لنظام ولاءة الفقىه.

فقد نجءت إىران عىر السواء الءى أعقبت الاءءلال الأمريكى للعراق، فى ءهىئة الأرضىة المناسبة لءقوىة نفوذها الءىنى فى العالم الإسلامى، ولم ىكن الجانب الءىنى ببعىء عن مجالات الرهىمنة الأءرى، سواء كان ذلك على مسءوى رجال الءىن أم الأءزاب الإسلامىة أم ءق المىلششء المسلءة، بطرىقة ءشبه إستراءىجىة الاءءاء السوفىءى ءءاه ءركءات الشىوعىة فى العالم ءالء فى أثناء ءرب الباردة، وهو ما اصءلء على ءسمىءه بالطرىق نءو بناء الأممىة الشىوعىة.

هءف إىران فى تأكىء الأممىة الشىعىة عىر نظرىة ولاءة الفقىه، لىست مجرد شعارات ءورىة، بل مواقف وءصرىحات صءرت عن المرشد الأعلى

عززء إىران منذ عام 1979، ءرىطة الشىعىة مقابل ءرىطة الإىرانىة، لأنها ءفضل الاعتماد على المءءماعء الشىعىة عىر الإىرانىة (الهزارة فى أفغانسءان والشىعة فى ءنوب لبنان والعراق والعلوبىن فى سورىا والءوئىىن فى الىمن) أكثر منها على ءماعاء إىرانىة عرقىًا كالأكرء والطاءىك، هءه ءماعاء الشىعىة بوصفها ءاىة ووسىلة للسىاسة ءارءىة الإىرانىة، هى فى الوقت نفسه ءعبىر أساسى عن ءركءة ءورىة الءى ءسعى إىران لءعمىمها من أءل ءءقىء ءىوبولىءىك الشىعى، وبعء أن نجءء ركىزءها الأولى فى لبنان عىر "ءب الله"، وعلى ءرار الاءءاء السوفىءى الءى كان فى إمكانه الاعتماد على ءعم الأءزاب الشىوعىة فى مءءلف مناطق العالم، فإنها أوءءء لها ءماعاء شىعىة ءءعمها ءء مسمىاء عءة، ومن ءم ءكاءرء الأءزاب الإلهىة والأنصار وأنواع ءشوء وءىرها، لكن ءعقىءاء نءطة الارتكاز الإىءىولوجىة هءه كبرىة.

فمع أن المءءب الشىعى لا ىركن إلى مفهوء الأمة القومىة الءى ءءمل ءءر ءقسىم الإسلام وءءءذىر المسءمر من الواقع الوطنى القومى للمءءب الشىعى، لكن المفارقة ونءطة الضعف هنا أن إىران نفسها ءمءء بىن شىعىءتها وقومىءتها وءءلءتها أمرًا واءءًا، فعنءما ءءعو إلى ءبعىة الشىعة للءامعة الشىعىة ومركزها الءولة - الأمة إىران، فإنها ءءرء عىلهم ءءءى الصعب بالءءلى عن انءمائهم الوطنى، فكىف ىمكنهم ذلك على ءلفىة الصراع ءارىءى الءى أءءه ممارسائها نفسها منذ بءاءة ءورة السورىة! وأضافء إلىه إءلانها اسءءاءة الإمبراطورىة الفارسىة واءءلال 4 عواصم

# إيران والمركزية الشيعية

في هذا الإطار ترتبط الأهمية الشيعية بفكرة رئيسة وهي "مركزية إيران" في العالم الشيعي، التي تشير إلى تحول إيران إلى مركز الإسلام العالمي وتشكيل أمة إسلامية واحدة باستثارة الولاء الديني للشعوب لصهرها وتوحيدها خارج إطار الولاء الوطني، وجمعها تحت قيادة إيران وحكومة الولي الفقيه التي تقدم "الإسلام الصحيح" وتحافظ عليه لتقودها وتدافع عنها، وتحويل مدينة قم إلى مركز إسلامي عالمي بدلاً من مكة المكرمة والمدينة المنورة.

إن المركزية الشيعية برزت مع السنوات الأولى من نجاح الثورة الإيرانية، وبموجبها تم تقسيم العالم إلى قسمين هما: دار الإسلام ودار الكفر، إذ إن الأصل في الشريعة الإسلامية أنها شريعة عليية، وعليه فإن إيران من يقود دار الإسلام حسب مفاهيم المرشد الأعلى للثورة الإيرانية الخميني، أما دار الكفر فإنها تشمل منطقتين هما: دار الحرب ودار العهد، وكل دار تحكمها مجموعة من القواعد العامة في التعامل مع غير المسلمين، ووفقاً لذلك فإن الأسس التي تقوم عليها الإستراتيجية الإسلامية تتركز على المصلحة الإسلامية العليا والعمل على إبقاء المركزية الشيعية نموذجاً للمجتمعات الإنسانية في السياسة القائمة على مبدأ الأصالة المذهبية في التعامل، ومن هنا تشير المركزية الشيعية بأنها جزء لا يتجزأ من الأهمية الشيعية التي وضع أسسها الخميني.

أما الفكرة الأخرى التي تشكل الأساس الرئيس لفكرة الأهمية الشيعية هي "الجمهورية الإسلامية"، فالحديث عنها بحاجة إلى الكثير من التفصيل والبيان، ومن هنا نكتفي بذكر إشارة مختصرة عنها، فوفقاً لما جاءت به المادة 57 من الدستور الإيراني عام 1979، التي أشارت إلى أن "السلطات الحاكمة في جمهورية إيران الإسلامية هي: السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية والسلطة القضائية، التي تمارس صلاحياتها بإشراف ولي الأمر المطلق وإمام الأمة"، وعبر هذه المادة الدستورية يتضح لنا أن إيران تقدم نظامها السياسي للعالم الإسلامي على أنه نظام أممي، ولا يقتصر على حدود إيران الحالية، وعللت إيران السبب في ذلك إلى أن هدف الجمهورية الإسلامية إقامة الحكومة الإسلامية العالمية بقيادة الولي الفقيه، وعلى جميع مجتمعات العالم الإسلامي أن تقتدي بنظام الجمهورية الإسلامية وتسير خلفه.

الفضاء الشيعي أوجد صلة رئيسة بين فكرتي الأهمية الشيعية والجيوبوليتيك الشيعي، وعلى هذا الأساس وجدت إيران في فكرة الأهمية الشيعية مجالاً عاماً يمكن عن طريقه ربط جميع الفضاءات الشيعية في العالم الإسلامي

كما سعى الخميني إلى تقديم الجمهورية الإسلامية على أنها تمثل انتصاراً حقيقياً لثورة الإمام

الحسين في كربلاء، وذلك عن طريق إقامة نظام حكم إسلامي يرتبط بالولي الفقيه الذي ينتسب لأهل البيت، وهو بذلك يرسل رسالة مباشرة للمجتمعات الشيعية في إطار العالم الإسلامي، بأن نظام الجمهورية الإسلامية يمثل مرحلة مهمة من مراحل التمهيد للمهدي، ليشكل الحكومة الإسلامية العالمية بقيادته، ومن أهم الأمور التي تدل على أن الجمهورية الإسلامية هي دولة التمهيد للمهدي، هو رعاية الولي الفقيه للدولة الإيرانية، الذي ينبغي أن يكون ولي أمر المسلمين جميعًا، ومن ثم يمكن تعريف الجمهورية الإسلامية بأنها "النظام السياسي الذي جاءت به الثورة في إيران، الذي يكتسب شرعيته السياسية والتاريخية من كونه نظامًا يقوم على ولاية الفقيه الممهدة للإمام المهدي، الذي يعد حسب القائمين عليه النظام السياسي الشرعي الوحيد في العالم الإسلامي، وينبغي على المجتمعات الإسلامية وتحديدًا الشيعية الاقتداء به والارتباط عضوياً بالولي الفقيه القائم بأمر المسلمين".

## إستراتيجيات تحقيق الأهمية الشيعية

عملت إيران على تنفيذ غاياتها وأهدافها القومية في تحقيق الجيوبوليتيك الشيعي عبر الأهمية الشيعية، عن طريق إستراتيجيات عديدة ذات مستويات مختلفة، مستوى أعلى يطلق عليه "الخطة الكبرى لإقامة إمبراطوية المهدي العالمية"، ومستوى أدنى يعالج ما نطلق عليه الإستراتيجية المرحلية ذات المدى القريب والمتوسط "الإمبراطورية الشيعية الإقليمية"، إذ تحدد الخطة الكبرى إستراتيجية تنفيذ الأهداف العليا بعيدة المدى، التي تسعى إلى تحقيقها طبقاً لمرحلة زمنية، حتى يكون القرن الحالي هو قرن إيران الشيعية بامتياز، أو كما أطلق عليه الدستور الإيراني عام 1979، قرن الحكومة الإسلامية العالمية التي يقودها الإمام المهدي، ويهيئ له ذلك ولي أمر المسلمين المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية، أما الإستراتيجية المرحلية ذات المدى القريب والمتوسط، التي تعمل عليها حالياً في العالم الإسلامي، فهي ترسم أسلوب التعامل لتأمين دولة القلب المذهبي من التهديدات الخارجية.

إن الفضاء الشيعي أوجد صلة رئيسة بين فكري الأهمية الشيعية والجيوبوليتيك الشيعي، وعلى هذا الأساس وجدت إيران في فكرة الأهمية الشيعية مجالاً عاماً يمكن عن طريقه ربط جميع الفضاءات الشيعية في العالم الإسلامي وما بعده بالمركية الإيرانية، لتشكل في النهاية مجالاً إستراتيجياً رحباً ممثلاً بالجيوبوليتيك الشيعي، عبر سلسلة من العلاقات السياسية والأمنية والدينية، وهي إستراتيجية اعتمدها إيران طويلاً لتحقيق أهدافها الإستراتيجية في إطار العالم الإسلامي.

رابط المقال : <https://www.noonpost.com/38227>